
مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 25 العدد:3 السّنة: الثّلاثي الثّالث 2023 ص: 103-116

تحليل الخطاب الإصلاحيّ في ضوء المنهج اللسانيّ الوظيفيّ

The analysis of the reformist discourse in light of the functional linguistic approach

أ. غزالي خيرة*

المشرف: أ. د. سعيدي محمّد[1]

تاريخ الاستلام: 2020-10-19 **تاريخ القبـول: 2022-03-13**

ملخّص: تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن التّكامل المعرفي بين البلاغة العربيّة ونظريّة التّركيب الوظيفي، والتي تعددت مسمياتها منها النّحو الوظيفي إلاّ أنّ مفهومها واحد وطريقة التّحليل فيها للمدوّنات واحدة، فهي تقف على مستويات وطبقات التّحليل الوظيفي، بالإضافة إلى توسيع المجال التّطبيقي لها.

وقد اعتمدنا في الجانب التّطبيقي على مقالة "إلى أبنائي الطّلبة" لمحمّد البشير الإبراهيمي، حيث وقفنا على أهمّ مستويات التّحليل منها العلائقي، والبلاغي، وخرجنا بنتائج مفادها أنّ النّماذج التي أتت بها هذه النّظريّة ومنها "نموذج نحو الطّبقات القالبي" مجال خصب لتحليل الخطاب، كما أنّ المقالة التي قمنا بالتّطبيق عليها تعتبر حقلا أدبيا متميّزا لما تحتويه من ايحاءات ودلالات قويّة، وما أتت به نظريّة النّحو الوظيفي هو استكمال لما جاءت به البلاغة العربيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب؛ نظريّة التّركيب الوظيفي؛ مستويات التّحليل؛ االمستوى البلاغي؛ البلاغة العربيّة.

*- جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.

البريد الإلكتروني: razalikheira558@gmail.com (المؤلّف المرسل).

1- جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.

البريد الإلكتروني:saidi_mh27@yahoo.fr

Abstract: The purpose of this study is to demonstrate the complementarity of knowledge between Arabic rhetoric and the theory of functional structure, which has numerous namesincluding; functional grammar. However, it has one conceptas well as the method of analysis for codes.

As it stands on the levels and layers of functional analysis, in addition to the expansion of its field of application, we have adopted the article "To My Sons, The Immigrant Students" by Mohammed al-Bashir al-Ibrahimi in the practical part, Where we stood on the most important levels of analysis, Such as; relational and rhetorical.

We came up with results indicating the models that this theory brought, like; 'Modular Layered grammar' a fertile field for discourse analysis. Also, the article is considered as a distinctive literary fieldwhich we had an application on it, as it contains strong connotations and semantics, therefore, what was broughtby the theory of functional grammar is a completion of what Arabic rhetoric came up with.

Keywords: discourse; functional grammar theory; levels of analysis; rhetorical level; Arabic rhetoric.

مقدّمة: لقد تجاوزت الدّراسة الوظيفيّة للغة المفهوم الصّوري لها السّائد في العصور السّالفة إلى اعتبارها كأداة تواصل في المجتمع، وقد تعددت النّظريات الحاملة للتيار الوظيفي بداية من مدرسة براغ التي نادت بالوظيفة وصولا إلى نظريّة النّحو الوظيفي، والتي نظّر لها عند الغربيين العالم الهولندي "سيمون ديك" واستثمرها العالم العربي المغربي "أحمد المتوكل"، وقد ركزت اهتمامها على الخطاب باعتباره مفهوما أعم وأشمل من النّص لأنّه يهتم بظروف إنتاج النّص المساعدة على تحقيق الغاية المرجوة من الخطاب هذا الأخير يعتبر اللغة مادّة خصبة للتحليل، فقد تنوّعت أنواعه تنوّع مضامينه منها الخطاب الإصلاحي الذي واكب فترة الإصلاح في الجزائر، والذي يحمل في طياته مجموعة من التّوجيهات من أجل تحقيق سلوك إيجابي.

ويعدّ البشير الإبراهيمي من رواد الإصلاح في الجزائر ومن الأقلام الواعدة التي تميزت بعملها الفنّي من خلال المقالات التي لاقت رواجا كبيرا، والتي جمعت في مدونة ثريّة بالمعاني الموحيّة والألفاظ القويّة، وتعتبر مقالة "إلى أبنائي الطّلبة المهاجرين" مدرسة يستقي منها المتلقي عموما وطالب العلم خاصّة النّصائح والدّروس، والغرض من هذا البحث هو تبيان التّكامل المعرفي بين البلاغة العربيّة وبين نظريّة التّركيب الوظيفي ضمن مستويات التّحليل، فهذه النّظريّة من خلال المستوى البلاغي الذي يضمّ مجموعة من الطّبقات منها طبقة أسلوب الخطاب التي تهتم بالصّور البيانيّة والمحسنات البديعيّة، بالإضافة إلى المستوى العلائقي والذي يدرس الطّبقة الإنجازيّة التي تسعى إلى دراسة الأغراض البلاغيّة للأساليب الإنشائيّة جذورها ممدّة إلى البلاغة العربيّة من علم المعاني، علم البيان، وأخيرا علم البديع.

وسنتطرق في بحثا هذا إلى مجموعة من العناصر التي ستعرّف بنظريّة النّحو الوظيفي وأهم مبادئها، وتكشف عن هذا التّكامل المعرفي ضمن عناصر منها: نماذج نظريّة النّحو الوظيفي، البنيّة القالبيّة للمقال، المستوى البلاغي، العلائقي.

1. مفهوم الخطاب: لقد أسفرت المناهج النّقديّة الحديثة على عدّة مفاهيم للخطاب فهناك من رآه منحصرا في جمل متواليّة مغلة وهذا مع التيار الصّوري وهناك من ربطه بظروف سياقيّة خارجيّة ذلك مع التيار الوظيفي.

يكاد يجمع كل المتحدّثين عن الخطاب أنّ ريادة (ز.هاريس) 1952 أنّه أوّل لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتحدّى الجملة إلى الخطاب[1]. وهو يقدم تحديده للخطاب انطلاقا من تعريف " بلومفيد" للجملة عبر تأكيده على وجود الخطاب رهينا بنظام متواليّة من الجمل تقدم بنيّة الملفوظ[2]. ويعرف "بنفيست" الخطاب باعتباره "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل، والمقصود ذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هو عمليّة التّلفظ"[3]. كم يرى أنّ الجملة تخضع إلى مجموعة من الحدود، إذ هي أصغر وحدة في الخطاب...ويمكن تعريفها بأنّها وحدة الخطاب"[4].

في حين يحيل الخطاب على عناصر السّياق الخارجيّة في إنتاجه وتشكيله اللغوي، ممّا يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه، وهناك عدة عناصر تشترك في بلورة الخطاب، ويمكن معرفتها من خلال النّظر إلى الخطاب ذاته. وعناصر الخطاب السّياقيّة

إجمالا هي: 1-المرسل، 2-المرسل إليه، 3-العناصر المشتركة والظّروف الاجتماعيّة العامة"[5]. أمّا "أحمد المتوكل" فيعرفه "كل ملفوظ/مكتوب يشكّل وحدة تواصليّة تامة"[6].

من حلال هذه التّعريفات للخطاب نستنتج أنّ مفهومه تعدّد وتنوّع، ولكن نقطة انطلاقه هي الجملة كوحدة أصغر فيه وصولا إلى الظّروف السّياقيّة الخارجيّة له من أجل فهم مقاصده.

2.**الإطار التّاريخي لنظريّة النّحو الوظيفي**: يعدّ الباحث الهولندي "سيمون دايك" المؤسّس الحقيقي لنظريّة النّحو الوظيفي، وكان كتابه (grammer Functional) المنشور سنة 1978 بمثابة الأساس المنهجي لهذه النّظريّة[7]، فقد سعت هذه النّظريّة لأن تؤسّس لنفسها مكانة علميّة متميّزة بين النّظريات اللسانيّة المعاصرة بصفة عامّة والنّظريات النّحويّة بصفة خاصّة، حيث أصبحت الوريث الشّرعي للنّظريات النّحويّة الوظيفيّة قبلها[8].

أمّا في الوطن العربي فقد دخلت هذه النّظريّة عبر جامعة محمّد الخامس بالرّباط حيث شكلت مجموعة البحث التّداوليات واللسانيات الوظيفيّة، وبفضل جهود الباحثين المغاربة المنتمين لهذه المجموعة تسنى للمنحى الوظيفي أن يأخذ محله في البحث اللساني المغربي إلى جانب مكوناته الأخرى، وقد تم ذلك عن أربع طرائق رئيسيّة هي التّدريس والبحث الأكاديمي والنّشر وعقد ندوات دوليّة داخل المغرب نفسه[9].

ومن خلال هذا المسار التّاريخي الموجز نستنتج أنّ العالم الغربي "سيمون دايك" رسم معالم نظريّة النّحو الوظيفي عند الغرب، وأرسى دعائها في الوطن العربي العالم المغربي "أحمد المتوكل".

3.**تعريف النّحو الوظيفي**: يختلف النّحو الوظيفي عن النّحو الصّوري بأنّه "النّحو الذي لا يقتصر على الدّور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف التّركيبيّة (أو النّحويّة كالفاعل والمفعول...)، لأنّ هذه الوظائف لا تمثل إلاّ جزءا من كل تتفاعل مع وظائف أخرى مقاميّة أو تبليغيّة: هي الوظائف الدّلاليّة أو التّداوليّة، بحيث تترابط الخصائص البنيويّة للعبارات اللغويّة بالأغراض التّبليغيّة (التّواصليّة) التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها[10]. ويعرف كذلك على أنّه من ثمرات الدّراسات الوظيفيّة التي تعدّ من أشكالها العامّة ويهتم بوظيفة اللغة الأساسيّة وأنّ التّواصل وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التّواصليّة لدى المتكلم والسّامع[11].

فنظريّة النّحو الوظيفي كانت منذ نشأتها مؤسّسة تداوليّة تسعى من حيث طبيعتها هذه في وصف وتفسير خصائص الخطاب باعتبار بعديه المقالي والمقامي[12].

ومن خلال هذه التّعريفات نستخلص أن النّحو الوظيفي تجاوز المفهوم التّقليدي إلى تحقيق الوظيفة التّواصليّة التّبليغيّة.

4. مبادئ نظريّة النّحو الوظيفي: باكتمال نضجها النّظري استكملت نظريّة النّحو الوظيفي مبادئها النّظريّة الأساسيّة العشرة قوام ما أسماه المتوكل 2006 "النّظريّة الوظيفيّة المثلى" نذكر منها[13]:

1-تستعمل اللغات لتأديّة وظائف متعددة ومختلفة إلاّ أنّ هذه الوظائف فروع لوظيفة أصل هي وظيفة التّواصل، "فالوظيفة التّواصليّة تحدد بنيّة اللغة، كما أنّ لكل أداة من الأدوات التي يستعملها البشر تأخذ البنيّة التي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها"14.

2-المبدأ الأهم والبند الأقوى ضمن قائمة مبادئ المنحى الوظيفي يجسده تحكم الوظيفة في بنيّة اللغة العامة وبنيّة ما يمكن أن ينتج داخلها من أنماط خطابيّة.

3-يذهب التيار الوظيفي إلى أنّ قدرة المتكلم-السّامع قدرة تواصليّة عامّة تشمل كل المعارف اللغويّة والخطابيّة وغيرها.

4-تستنبط حمولة العبارة اللغويّة ثلاثة عناصر أساسيّة:

أ -فحواها القضوي؛

ب-القصد من إنتاجها (إخبار، أمر، سؤال)؛

جـ موقف المتكلم من الفحوى القضوي.

5. ضوابطها: تفرض نظريّة النّحو الوظيفي مجموعة من القيود التي تحكم بنيّة النّحو ومكوناته، ومن هذه القيود ما تستلزمه الكفايات الثّلاث، التّداوليّة، النّفسيّة والتّداوليّة التي تشكل المعايير التّقويميّة الأساسيّة لهذه النّظريّة[15].

1.5.الكفاية التّداوليّة: يكتب "دايك" في تعريفه للتداوليّة "نريد من النّحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغويّة التي لها علاقة بالكيفيّة التي تستعمل بها هذه العبارات، وأن يفعل ذلك بالطّريقة التي تمكّن من ربط هذه الخصائص، وبالقواعد والمبادئ التي تحكم التّفاعل اللغوي". ويترتب عن ذلك أنّ العبارات اللغويّة ويجب أن

تعد لا كأدوات منعزلة. بل كأدوات يستعملها المتكلم داخل سياق تحدده العبارات السّابقة.[16]

2.5.الكفاية النّفسيّة: يعتبر نحوا كافيا نفسيا النّحو الذي يعكس ما أمكن ذلك النّماذج النّفسيّة للقدرة اللغويّة والسّلوك اللغوي، ويكون ذلك في اتجاهين: في اتجاه الإنتاج حيث تحدّد الطّريقة التي يبني بها المتكلم العبارة اللغويّة ويصوغها، واتجاه الفهم حيث تحدّد الطّريقة التي يحلل بها المخاطب العبارة اللغويّة[17]

3.5.الكفاية النّمطيّة: يمكن للنحو أن يحصّل الكفاية النّمطيّة حين يستطيع أن يبني أوصافا للغات تنتمي إلى أنماط مختلفة، وأن يرصد في الوقت ذاته ما يؤتلف بين هذه اللغات المتباينة نمطيا وما يخالف بينها[18].

6. نماذج نظريّة النّحو الوظيفي: مرّ الجهاز الواصف في نظريّة النّحو الوظيفي من حيث بنائه وصياغته بمراحل أفرزت عددا من النّماذج من أهمها: النّموذج النّواة، النّموذج المعيار، نموذج نحو الطّبقات القالبي، نموذج نحو الخطاب الوظيفي، نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع، وقد تعرض لها أحمد المتوكل في كتبه بالشّرح والتّفصيل مبينا أنّ كل نموذج مكمل للآخر[19].

1.6.النّموذج النّواة: أوّل نماذج نظريّة النّحو الوظيفي المعروض له في كتاب "ديك الأوّل" (ديك 1978). مكونات هذا النّموذج الأولي حسب ترتيبها في آليّة الاشتغال أربعة مكونات: خزينة فقواعد إسناد الوظائف فقواعد التّعبير ثم القواعد الصّوتيّة، والخصائص الممثل لها في هذا النّموذج شملت الوظائف التّداوليّة[20].

2.6.النّموذج المعيار: (سيمون دايك 1989) يتصدر "نموذج مستعملي اللغة الطّبيعيّة" أهم ما أتى به النّموذج المعيار، ويقصد به المنتج للخطاب والمتلقي للخطاب والمؤول له. هذا النّموذج وضع لرصد الملكات التي تتوافر لدى المتكلم/المخاطب، حصر منها "سيمون دايك" خمس ملكات على أساس أنّه يمكن إضافة ملكات أخرى إليها، وتقوم هذه القوالب الخمس برصد ملكات القدرة التّواصليّة كما أنّ الخصائص الممثّل لها في هذا النّموذج أصبحت تشمل السّمات الإنجازيّة والوجهيّة[21].

3.6.نموذج نحو الطّبقات القالبي: (أحمد المتوكل 2003) أوّل إسهام عربي اقترح فيه "أحمد المتوكل" ما أسماه ببنيّة الخطاب النّموذجيّة، ومن أهم ملامحها أنّ بنيّة الخطاب التّحتيّة تتكون من ثلاثة مستويات: مستوى بلاغي يتضمن ثلاث طبقات تؤشّر للمركز

الإشاري ونمط الخطاب وأسلوبه، ومستوى علائقي يتضمن طبقة الاسترعاء، وطبقة الإنجاز، وطبقة الوجه، ومستوى دلالي يرتكز على الطّبقات الثّلاث وهي: الطّبقة التّأطيريّة، الطّبقة التّسويريّة، الطّبقة الوصفيّة[22].

4.6.نموذج نحو الخطاب الموسع: هنغفلد وماكنزي 2008: نظريّة النّحو الوظيفي سعت إلى تحصيل الكفاية النّفسيّة منذ نشأتها إلى جانب إحراز الكفايتين التّداوليّة والنّمطيّة فالجهاز الواصف في نحو الخطاب الوظيفي اشتمل على أربعة مكوّنات هي: "المكوّن المفهومي" أو المعرفي، "المكون النّحوي"،" المكون الإصاتي" "المكون السّياقي" [23].

5.6.. نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسّع المتوكل2011: نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع من الإسهام العربي الثّاني في الفكر اللساني الوظيفي الحديث للساني المغربي "أحمد المتوكل"، وقد تأسس على نموذج مستعمل اللغة ثم تطور ليصبح قادرا على رصد مختلف العمليات التي تتم أثناء التّواصل[24]. فمحرّك إفراز هذه النّماذج والانتقال من بعضها البعض في الشّكل والمضمون محركان أساسيان: تعديل في موضوع الدّرس، واتجاه في رفع الأهداف مع الحفاظ على المنطلقات النّظريّة والمنهجيّة. فنظريّة النّحو الوظيفي منذ نشأتها نظريّة مؤسّسة تداوليا تتخذ موضوعا لها الملفوظ/المكتوب مؤطرا بظروف إنتاجه (سياقه)[25]. وهذه النّماذج في تطورها تتسم بمسار دائري ينطلق من "الأحاديّة" إلى "التّعدد" ثم العودة إلى " التّوحّد". هذا المسار الدّائري ذو المحطات الثّلاث، تبدأ النّظريّة بسيطة التّكوين ثم تغنى وتتعدد مكوناتها ومجالاتها، ثم تسعى للتوحّد[26].

ونلاحظ من خلال عرضنا لنماذج نظريّة النّحو الوظيفي نجد أنّها تقوم على مبدأ الارتقاء والتّطور، فكل نموذج مكمّل للآخر سواء بإكمال النّقائص، أم إضافة مستجدات له تتمشّى ومبادئ النّظريّة.

الجانب التّطبيقي: قبل الولوج إلى الجانب التّطبيقي لابد من التّطرق إلى بعض التّعريفات ومنها:

عيون البصائر: عنوان لمجموع مقالات كتبها الإبراهيمي، عالج فيها قضايا دينيّة وطنيّة ثقافيّة بقلم سيال وأسلوب منطقي، فهي أضخم أثر أدبي في بناء صرح النّهضة الجزائريّة..."[27].

محمّد البشير الإبراهيمي: هو محمّد البشير بن محمّد السّعدي المنسوب إل قريّة أولاد إبراهيم بولاية سطيف، ولد يوم الخميس الثّالثّ عشر جوان 1889م، وقد علمه الشّيخ محمّد المكي الإبراهيمي فحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا في آخر الثّامنة من عمره، بالإضافة إلى ألفيّة ابن مالك وجملة من الأشعار، في عام 1911م، وقد كانت له عدّة رحلات عبر الوطن العربي أين اشتغل فيها بالتّدريس، وتعرف على كثير من الأدباء كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، كما أسهم مع عبد الحميد بن باديس في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وله عدة مؤلّفات منها "عيون البصائر"، توفي 20 ماي 1965م[28].

تعريف المقالة: "قطعة نثريّة ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين"[29].

1. البنيّة القالبيّة للمقال:

1.1. القوالب المساعدة: اقترح (دايك1989) أنّ يصاغ نموذج مستعملي اللغة الطّبيعيّة على أساس أن يضمن خمسة قوالب تضطلع برصد الملكات الخمس: قالبا نحويا وقالبا منطقيا، قالبا معرفيا وقالبا اجتماعيا، قالبا إدراكيا للملكات اللغويّة والمنطقيّة والمعرفيّة والاجتماعيّة والإدراكيّة[30].

2.1.القالب الاجتماعي: مضمون المقال له صلة وثيقة بالمجتمع الذي يعيش فيه الكاتب، فهو يتعايش مع أحداث بلده الجزائر التي عاشت ويلات الاستعمار الفرنسي فهو يوجه خطابا صريحا لأبناء وطنه المهاجرين مقدما فيه جملة من النّصائح والتي تقف في مجملها حث الشّباب على الإصرار في طلب العلم مذكرا في نفس الوقت بمعاناة أجدادهم في سبيل تحصيل العلم ويمكن أن نضرب أمثلة عن بعض الظّواهر الاجتماعيّة منها قوله: "إنّ أسلافكم كانوا يعدّون الرّحلة في سبيل العلم ...فكانوا يقطعون البراري والصّحاري والقفار ويلقون في سبيله الأخطار، وكانوا يجوعون في سبيله... وكانوا ينقطعون عن أهليهم وديارهم انقطاعا متصلا يدوم سنوات"[31]. وهنا نلمس تكبّد الأجداد المعاناة والقهر والجوع من أجل طلب العلم. كما أن البشير الإبرهيمي أثنى على قضيّة اجتماعيّة شكلت منعرجا حاسما عند الطّلبة الجزائريين وهي هجرتهم من أجل طلب العلم، فقد عقد أمالا كبيرة فيهم لأنّه رأى فيهم المستقبل الزّاهر لقوله: "وأوجه النّداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشّرق العربي ...إنّكم يا أبناءنا مناط آمالنّا، ومستودع أمانينا..."[32].

3.1.القالب المعرفي: يتجلى في البعد المعرفي الذي قد يكون تارخيا، أو فلسفيا أو دينيا أو إيديولوجيا[33]. ومن أمثلة البعد الدّيني تجسد في قوله: "والقرآن الكريم تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتّلاوة وربوا السّنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد وعلى الاستشهاد به في الدّين والأخلاق وعلى الاستظهار به في الجدل، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون"[34] فهنا حث صريح على التّمسك بتعاليم الدّين الإسلامي وحفظ القرآن الكريم لما فيه من فوائد دينيّة ودنياويّة. كما نلمس البعد التّاريخي تمثل في السّياسة الاستعماريّة المنتهجة في حق الطّلبة الجزائريين في قوله: "إذا كانت السّياسة الاستعماريّة تجعل منكم جزائريين في تونس ثم تجعل منكم تونسيين في الجزائر، فاطغوا عليها بقوة الإرادة، وقوة العلم..."[35].

2. مستويات التّحليل الوظيفي: إنّ بنيّة الخطاب النّموذجيّة ذات مستويات ثلاثة: مستوى بلاغي، ومستوى علائقي، ومستوى تمثيلي (الدّلالي).

1.1.2.المستوى البلاغي: ويشمل ثلاث طبقات:

1.1.2.طبقة المركز الإشاري: تؤوي خصائص خطابيّة تهمّ المركز الإشاري الذي يحدد المتخاطبين وما يقوم بينهما من علاقات زمان ومكان التّخاطب[36]. أي البحث عن ذات المتكلم في الخطاب، فالمتكلم في هذه المقالة هو البشير الإبراهيمي من خلال ضمير المتكلّم المتصل والمستتر في قوله:" يا أبنائي ... "[37] وقوله أيضا: "وأوجّه النّداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشّرق العربي..."[38]، أمّا زمن الخطاب فكان سنة 1947، أي فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، والمكان هو الجزائر.

1.2.2.طبقة نمط الخطاب: تؤشّر للغرض التّواصلي المستهدف ممّا يعني إمكانيّة التّمييز بين الخطاب السّردي والمحادثة والخطاب التّعليمي وغيره[39]. إنّ نمط الخطاب في هذه المقالة حجاجي تارة توجيهي تارة أخرى، ففي البداية راح يقدّم مجموعة من الحجج حول أهميّة طلب العلم في قوله: "إنّكم لا تضطلعون بهذه الواجبات إلاّ إذا انقطعتم لطلب العلم، وتبلتم إليه تبتيلا، وأنفقتم الدّقائق والسّاعات في تحصيله، وعكفتم على أخذه من أفواه الرّجال، وبطون الكتب..."[40]. أمّا التّوجيهي تجلى من خلال التّوجيهات والنّصائح التي قدّمها البشير الابراهيمي لطلبة العلم، ومن ذلك: "لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كلّ ما يقويّ مادتكم اللّغويّة"[41] اتركوا المناقشات الحزبيّة والخلافات السّياسيّة لأهلها"[42]. بالإضافة إلى الصّور البيانيّة منها التّشبيه البليغ في

قوله:" إنّكم يا أبناءنا مناط آمالنّا ومستودع أمانينا...الوطن هو أبو الجميع"، والمحسنات البديعيّة ومنها طباق الايجاب في قوله "الشّرق، الغرب" المقابلة "سواد الليل وبياض النّهار" فقد زادت الخطاب جمالا وقوة.

1.2.3.طبقة أسلوب الخطاب: وتتحدّد في النّهج المتخذ في استعمال اللغة والموسوم بسمتي الخصوصيّة والاستقلال، وبناء عليه يميّز بين الأسلوب الرّسمي وغير الرّسمي[43]. أسلوب الخطاب هنا إنشائي حافل بالإيحاء والتّلميح تمشّى وطبيعة مضمون المقال كما تغلبت عليه حضور الذّات المنتجة التي لعبت دورا فعالا فيه وهيمنة الصّور البيانيّة لتضفي عليها إبداعا متميزا.

2.2المستوى العلاقي: ويتمثل في تحديد طبقات المستوى العلاقي، وهي مجسدة في الطّبقات الآتيّة:

1.2.2.طبقة الاسترعائيّة: وتمثلها العبارات اللافتة للنظر بصفة عامّة، ولفت انتباه المخاطب الموجه إليه الخطاب بصفة خاصّة[44]، وهي في النّص تشمل تكرار لفظة "يا أبنائي"، والتي تكررت عدة مرات من أجل لفت انتباه الطّلبة للأخذ بالنّصيحة.

2.2.2.طبقة الإنجازيّة: فالطّبقة الإنجازيّة تهتم بتحديد الدّور الذي يقوم به المتكلم إزاء مخاطبه كأن يكون مخبرا أو مستفهما، أو مستفهما، أو آمرًا أو ناهيًا[45] وهذا ما عززه أحمد المتوكل في كتابه[46]، فقد تجسّدت جملة من الأساليب الإنشائيّة التي حملت أغراض بلاغيّة متضمنة قوة إنجازيّة مستلزمة، ومنها النّداء في قوله:"يا أبناءنا.."[47]حيث جاء النّداء هنا للفت الانتباه، والنّهي في قوله: "لا تعتمدوا" "لا تقنعوا"، "لا تقطعوا" والأمر في قوله "خذوا، وفروا" وغرضها النّصح والإرشاد لأنّ الخطيب في مقام الحث على الالتّزام بالنّصائح التي قدمها في خطبته.

3.2.2.طبقة الوجهيّة: وتتمثل في موقف المبلّغ من فحوى خطابه[48]، وتبدو مغلبة بشكل واضح فالخطيب كان ناصحا ومرشدا ورافضا لسياسة الاستعمار المنتهجة.

3.2. المستوى التّمثيلي: وتشمل ثلاث طبقات:

1.2.3.طبقة التّأطير: وتتمثل في المخصص الزّمني الحاضر (يتطلع) هذا الفعل الذي يدل على الاستمرار، والمخصّص الزّمني الماضي "انقطعتم، كانوا ..." وغيرها من الأفعال التي دلت على وقوع الأحداث في زمن مضى.

2.2.3.طبقة التّسوير: وتمثلها الوقائع المكممة والمكررة في المقال.

3.2.3.طبقة الوصف: تشمل مجموعة الوقائع التي تضمنها المقال. وتجسّدت في وصف الابراهيمي حالة طلبة العلم حينما يفارقون الوطن.

خاتمة: إنّ مقالة "إلى أبنائي الطّلبة" للبشير الإبراهيمي حقل أدبي خصب، فلغتها مفعمة بالتّشخيص والتّلميح، وتحليلها وظيفيا ضمن مستويات التّحليل قد أسهم في الكشف عن مقاصدها وتشفير معانيها منها المستوى البلاغي الذي ركز على نمط الخطاب وأسلوبه، والمستوى العلاقي الذي اهتم بالطّبقة الإنجازيّة التي درست الأغراض البلاغيّة للأساليب الإنشائيّة.

ومن النّتائج التي توصلنا إليها بعدما حاولنا تطبيق مبادئ نظريّة النّحو الوظيفي على مقالة " البشير الإبراهيمي":

نحو الطّبقات القالبي أثبت نجاعته من خلال تحليل المقال؛

نظريّة التّركيب الوظيفي تستطيع أن تدخل حيز التّطبيق من بابها الواسع إذا استثمرناها جيدا؛

نموذج نحو الطّبقات القالبي نموذج خصب لتحليل الخطاب، وكذا نموذج المعيار لما يحتويه من آليات متوفرة في النّصوص؛

نظريّة النّحو الوظيفي ملتقى طرق بين مفاهيم نظريّة التّواصل والبلاغة العربيّة؛

مقالة "إلى أبنائي الطّلبة" تعد من المقالات المميزة للتحليل، لما تحتويه من لغة إيحائيّة؛

مستويات التّحليل الوظيفيّة جذورها ممتدة في البلاغة العربيّة كالمستوى البلاغي الذي يهتم بالصّور البيانيّة والمحسنات البديعيّة، وهذا ما نلمسه في علم البيان وعلم البديع. والمستوى العلاقي الذي يدرس الأغراض البلاغيّة للأساليب الإنشائيّة ما يسمى بعلم المعاني.

ويبقى المقال مجال خصب للتحليل وفق نظريّة النّحو الوظيفي والكشف عن جمالياتها، فإذا نالتّ الأبحاث التي تنحو المنحى الوظيفي حظها من التّوفيق يمكن أن تتزود مكتبة تحليل الخطاب العربيّة بما تفتقر إليه.

الهوامش:

1- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي (الزّمن . السّرد . التّبئير)، المركز الثّقافي العربي، بيروت ط3، 1997، ص21.

2- المرجع نفسه، ص18.

3- المرجع نفسه، ص: 19.

4- نور الدّين السد، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دراسة في النّقد العربي الحديث، ج2، دار حومة للطباعة والنّشر، الجزائر، 2010، ص: 21 . 22.

5- عبد القادر بن ظافر شهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة بيروت . لبنان، ط1، 2003، ص: 39.

6- أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الآمان، ط1، 1437هـ، 2016م ص 34.

7- عبد الحميد صبري، اللسانيات النّصيّة في الدّراسات العربيّة الحديثة، بحث في الأطر المنهجيّة والنّظريّة، دار الآمان الرّباط، ط1، ص: 206.

8- يحي بعطيش، نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة 2006، ص 77.

9- أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد، دار الآمان الرّباط، ط1، 1427هـ، 2006م، ص60.

10أحمد المتوكل، من البنيّة الحمليّة إلى البنيّة المكونيّة: الوظيفة المفعول، دار الثّقافة، الدّار البيضاء،1987، ص:05.

11خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة في محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتّوزيع، ط1، 2009ص 40

12أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكليّة والنّمطيّة، دار الآمان، الرّباط ط1، 1435 هـ، 2014م ص14.13.

13 نعيمة الزّهري، تحليل الخطاب في ضوء نظريّة النّحو الوظيفي، دار الآمان، الرّباط ط1435،1هـ، 2014م، ص 14.13.

14 أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفيّة، مدخل نظري، منشورات، عكاظ، 1989، ص: 53

15أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الآمان، ط1، 1437هـ، 2016م ص: 62.

16 أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة، دار الآمان، الرّباط، ط1 1434هـ 2013م، ص 28.

17 المرجع نفسه، ص: 28

18 أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة: البنيّة التّحتيّة أو التّمثيل الدّلالي التّداولي، دار الآمان، الرّباط، 1995م، ص: 21.

19 محمّد الحسين مليطان، نظريّة النّحو الوظيفي، الأسس والنّماذج والمفاهيم، دار الآمان الرّباط ط1435،1هـ، 2014م ص: 20.

20المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، المرجع السّابق ص: 71.

21 محمّد مليطان، المرجع السّابق، ص،23.22.

22 المرجع نفسه، ص 24.

23 المرجع نفسه، ص: 28.

24 المرجع نفسه، ص 31.

25 أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفيّة المقارنة، دراسة في التّنميط والتّطور، دار الآمان، الرّباط ط1، 1433هـ، 2012م، ص31.30.

26 أحمد المتوكل، التّركيبات الوظيفيّة: قضايا ومقاربات، دار الآمان، الرّباط، ط1، 1426هـ 2005م، ص: 54.

27باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرّئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمّد البشير الإبراهيمي، منشورات الحبر، بني مسوس الجزائر، ط2، 2007، ص: 128.

28عمر أحمد بوقرورة، بناء النّسق الفكري عند محمّد البشير الإبراهيمي، دار الهدى، عين الميلة الجزائر، 2004م، ص: 10 11 12.

29مرسي أبو ذكرى، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، مصر، 1981. 1982 ص: 67.

30 أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، المرجع السّابق، ص 45.

31عيون البصائر من آثار الإمام محمّد البير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثّالثّ، دار الغرب الإسلامي، 1997، ط1، ص203 202.

32المرجع نفسه، ص: 201.

33 يحي بعطيش، المرجع السّابق، ص: 530.

34عيون البصائر، ص: 204.

35المرجع نفسه، ص:205.

36نعيمة زهري، تحليل الخطاب في ضوء نظريّة النّحو الوظيفي، ص: 37.

37عيون البصائر، ص :202.

38المرجع نفسه، ص: 201.

39المرجع نفسه، ص: 37.

40المرجع نفسه، ص: 202.

41المرجع نفسه، ص: 204.

42المرجع نفسه، ص:204.

43 المرجع نفسه، ص: 37.

44 يحي بعطيش، المرجع السّابق: ص535.

45 نعيمة الزّهري، ص:37.

46 أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفي، بيروت، لبنان، ط1،2013، ص:29.

47 المرجع نفسه: ص:7

48نعيمة الزّهري، ص: 37.